

## ماثيو أرنولد

Mathew, Arnold

للأستاذ خيرى حماد

— ٥ —

—>>>><<<<—

### آرائه السياسية:

كان أرنولد محافظاً معتدلاً، ورغم أن أنه لم يرشح يوماً ما لمضوية البرلمان إلا أنه كان شديد الميل للسياسة. وقد ظهرت هذه الرغبة جلية في السنين الأخيرة من حياته؛ فلما نزع يده من الأمور الدينية اشتغل ببحث المسائل والمشاكل السياسية بحثاً استفدت فيها كثيراً من اهتمامه ووقته. وكانت له من تجاربه في وظيفته الحكومية حنكة سياسية يندر أن توجد في أمثاله. ناهيك عن قدرته على استطلاع خفايا المشاكل العويصة وطريقة حلها بأسلوب منطقي محكم، لاسيما وقد امتزج بسائر طبقات الشعب

فمرف عنهم جميع صفاتهم وأخلاقهم. ولكن أولى مهامه السياسية جاءت بالفشل الذريع، فقد عارض بكل قواه قانون الدفن. ولكن جهوده السياسية كانت خائبة فطبق هذا القانون مدة طويلة من الزمن، وكان يهرب نتائج الحكم اللامركزي ويمارسه بكل قواه، فجاهد في سبيل القضاء عليه جهود الجسارة، ولكنه لسوء حظه فشل للمرة الثانية وباء بالخسران. ولتبرير سقوطه كتب قائلاً: «لست ادعى السياسة، ولكنى شخص عادى أبصر بهذه الحالة التي تسود البلاد. ولم يعتمد على أنصار وأحزاب منظمة؛ بل جاهد بمفرده ليسمى في إنالة بلاده قطعاً أوفر من المدنية<sup>(١)</sup>».

وفي مقدمة مقالاته الإيرلندية نراه يكتب: «إن دهاة القوم وكبار الساسة ليمارضون فضول رجل أديب مثلى. ولكنهم في الحقيقة لم يمارضوه إلا عند مخالفتهم لآرائهم السياسية. وفي الجدال السياسي الذي حدث سنة ١٨٨٦، نرى كلا الطرفين من أنصار

Poul Grnald, P. 153 (١)

الطبيعية عبارة عن «حرب الجميع ضد الجميع». والدولة هي الوسيلة التي لا بد منها لوقف هذا الصراع. وهي تحمي حيوات الأفراد وأمواهم في مقابل خضوعهم لها خضوعاً مطلقاً. فما نأمر به خير، وما تنهى عنه شر، وإرادتها هي القانون الأعلى. لا نريد أن نقف عند هذه النظرية التي تقول بضرورة الحكم المطلق، والتي هي النتيجة المنطقية لمذهب المادة. وإنما نريد أن نشير - في ختام هذا البحث - إلى أن هوبز يختلف عن يكن في ناحيتين هامتين: أما أولاهما فهي أنه يقول بنظام ميتافيزيقي؛ النظام المادى. وأما الثانية فهي أنه يعطى القياس قيمة تفوق قيمته عن بيكن. لقد أغفل هذا الأخير، حين جعل الاستقرار النهج الكلى، أمرين:

١: الدور الذي يلعبه الاستنتاج في الرياضيات.

٢: الدور الذي لعبه العنصر الرياضى والنظر القبلى في مكتشفات القرن الخامس عشر. ومن هنا فإن هوبز يقف موقفاً وسطاً بين مذهب التجربة الخالص ومذهب ديكارت العقلى.

عبد الكريم الناصرى

(بنداد)

عليها، ولا يدلنا فيها. لكل فعل سببه الكافى. والقائلون بالاختيار يذهبون إلى أن الفعل الإرادى أو الحر هو الفعل الذى وإن كان للقيام به سبب كاف، فإنه - أى الفعل - ليس ضرورياً. وتهاقت هذا التعريف ظاهر لاخفاء به. فإنه إذا لم يقع حدث أو فعل ما، فلأن سبباً كافياً لوقوعه لا يوجد. إن السبب الكافى يرادف الضرورة. والإنسان، كسائر المخلوقات، خاضع لقانون الضرورة، للقدر، أو - إن شئت - لإرادة الله؛ والخير والشر، بمد، معنيان نسبيان، فالأول يرادف الموافق أو المرضئ، والثانى يرادف المكروه أو الغير الموافق. و«المصلحة» هي الحكم الفصل فى الأخلاق وفى كل شئ. أما الخير المطلق، والشر المطلق، والمعادلة المطلقة، والفضيلة المطلقة، فأوهام ابتكرها العقل اللاهوتى، وما بعد الطبيعة...

إن فلسفة «هوبز» السياسية تتفق مع هذه المقدمات الأنطولوجية. فالحرية ممتنة عنده فى ميدان السياسة، كما هي ممتنة فى ميدان الأخلاق، وميدان ما بعد الطبيعة. وإنما الحق للقوة، فى الدولة وفى حال الطبيعة على السواء. وحالة البشر

براوننج المشهور . ويشتمل هذا الكتاب على قصائد عدة أهمها « أشعار الذكرى » التي قالها في رثاء الشاعر الكبير وليم وردزورث . ومطلع قصيدته كما يلي :

« لقد دفن جيتي منذ مدة طويلة في مدينة ويمر .

« وقد شهدت بلاد اليونان جهاد بيرون الطويل وموته

« ولكن وفاة هذا العظيم كانت منتظرة منذ مدة طويلة

« لتخمد جذوة الشعر .

« ما الذي يمكننا أن نقوله في وصف وفاة وردزورث ؟ »

وقد أعجب براوننج بهذا الكتاب إعجاباً شديداً دعاه إلى

إعادة طبعه مرة ثانية سنة ١٨٦٧ . فكل الموضوع والأسلوب

كلاسيكي جذاب . وقد وصف أرنولد أمبدوكليس وصفاً دقيقاً

وأظهره بصورة فيلسوف يوناني ولد في جزيرة سقلية في القرن

الخامس قبل الميلاد وفلسفته الباقية لدينا تدل على تصوفه وعلم

حياة الأحلام التي كان يحياها .

والأغنية التي يناشد أمبدوكليس كأنه بها لا تقل عن قصيد

( ربي بن عزرا ) في القوة والخيال الشعريين فهي تحوى بعض

الآيات الرائعة كقوله :

« قد نرغب في الحصول على الهدوء النفسى .

« ومع ذلك فإننا لا نتطلع إلى أنفسنا .

« ونحب القضاء على التماسه والبؤس .

« بينما لا نحاول الإمتناع عن الشرور والآثام » .

وأكثر آيات هذه القصيدة روعة هي أغنية غالسيه

في نهايتها .

« إن هذه الأمكنة لا تصلح لسكنائك أيها الإله العظيم أبولو

« ولكن حيث تلتقى الجبال النربية بصخور الشواطى والبجارج

ويتممها بقوله :

« لقد أتى أبولو قائداً .

« بفرقة الموسيقىة المؤلفة من تسعة أشخاص .

« فالقائد جميل .

« وكل الأعضاء من أهل الدماء » .

وجمال هذين القطعين يتلخص في احتوائهما على بعض

الاصطلاحات الشعرية ويمتاز القطع الأول بأسلوبه الشعرى الذئ

الوحدة والحكم الذاتي في أرنلدة يمتزون بانتساب عدد من الأدباء  
والكتاب لحزبهم .

وكل محاولة لتبيان آرائه السياسية تمد ناقصة إذالم تتناول  
عقيدته في الحكم الذاتي لإرلنده . فقد عارض بقوة قانون الحكم  
الذاتى الذى صدر سنة ١٨٨٦ ، وكتب إلى جريدة التاميس مقالا  
يحتج فيه على السياسة الحرقاء التي يرتكبونها بسن مثل هذا  
القانون . وفي هذا الاحتجاج زاه بمدد المساوىء التي يرتكبها  
القوم في إرلنده وطالب بإزالتها والقضاء عليها . واقترح إنشاء  
نظام حكومى في إرلنده يرتبط تمام الارتباط بالحكومة المركزية  
في لندن .

وهذه المحاولات العديدة التي قام بها من الناحية السياسية  
لم تكن كافية لإقناع القوم بشخصيته كسياسى بارع . فلم يصبح  
عضواً في البرلمان ولم تكن له القوة بما لإدارة دفة الإنتخاب ،  
ولكن عند وفاته تولى البرلمان إعلان الحداد عليه رسمياً مدة  
ليست بالقصيرة ، مما يدل على تأثرهم بنظرياته وآرائه التي كان لها  
شأن عظيم في التأثير على أفكار القوم ، ووضعها في الصورة  
التي يريدونها .

وفي الحقيقة كان أرنولد حر الفكر يجاهد في سبيل  
إعطاء سائر الأمم المستعمرة حريتها وخاصة إرلنده . ولكن هذه  
الحرية لا تعنى انفصال هذه المستعمرات انفصالا تاماً عن الحكومة  
المركزية ؛ بل تظل تهتدى بهديها وتستن سنها .

### كتبه ومؤلفاته :

إن من الصعب علينا في هذا المقال القصير أن نحاول تحليل  
جميع الكتب التي ألفها أرنولد من أدب وشعر وفلسفة ودين .  
ولكنى أكتفى بتحليل بعض مؤلفاته تحليلًا موجزاً يظهر لنا  
نبوغه وعبقريته الأديتين . وهذه المؤلفات هي : —

### ١ - أمبروكليس على جبل إتنا

ظهر هذا الكتاب سنة ١٨٥٢ يحوى بعضاً من خبر القصائد  
التي كتبها المؤلف فقابله الجمهور بفتور شديد مما كان يدعو إلى  
يأس أرنولد وقنوطه لولا التشجيع الذى قابله به الشاعر روبرت

يقلد أرنولد هوميروس في سهولة وبساطة . فهذه القصيدة تحوى مشاعر خيالية رومانتيكية تمبر عنها تضحية الشاب في سبيل القيام بجلائل الأعمال وعظائمها . فيموت في الآونة الأخيرة التي كان يطمح فيها أن يصبح من كبار المحاربين والأبطال مقتولا بيد والده الذي يجهله ولا يعلم بوجوده .

### ٣ - ميروب

في هذه الرواية التمثيلية رى أرنولد يحاول أن يجعل من بوليفونتنيس ملكاً قوياً عاقلاً يقوم بخير الأعمال للتكفير عن الذنوب العديدة التي ارتكبها أيام شبابه . ولم يكن أرنولد في هذه الرواية موفقاً تمام التوفيق لأنه لم يخلق فيها شخصية تجذب الجماهير وتأسر قلوبهم . ومع أن أسلوبها يوناني صرف إلا أن تقليده ليقف تقليده في رواية « الاطلائيد في كاليدون » أما من حيث الجمال والروعة فإن « ميروب » تقصر بكثرة عن سابقها التي مع شذوذ أسلوبها وعدم ترتيبه تحوى روحاً فنية خالدة . فيروب جسد بلا روح وهي لا تحوى الماطفة التي تتعد في الرواية الأخرى .

وقد نجحت الرواية نجاحاً لم يكن ينتظره مؤلفها وبيعت بكثرة في الطبقات الراقية من الأمة ، بينما طبقة العامة لم تأبه لها لعدم تفهمهم الآراء الفلسفية العديدة التي يضمنها فيها . وفي القصائد التي تحويها أبيات راتمة خالدة . ومنها هذه الأبيات :

« إن الطغاة ليجعلون من البشر رجالاً حسنى الأخلاق  
« أكثر مما يتظاهرون » . أو  
« إن تاجك ليقضى عليك بينما لسانك يتفذك مما يحل بك »  
أو الأربعة أبيات التالية :

« اسمع هذه الضوضاء التي تنبعث من الشوارع الأخرى  
« واسمع ما يحدث من قتل الناس في مثل هذه القاعات  
« وهكذا تحمك أنت كما كان والدك يشاء ويهوى  
« أو تحمك فتجعل من أعدائك عبيداً يخضعون لأمرك »

وجميع هذه الأبيات تخلو من القافية والوزن ، ولذا فإنها عدت خشنة الأسلوب مع احتوائها لبعض الأفكار المألوفة .

يعد أسساً من أسس الفن والأدب .  
والقسم الثاني من هذا الكتاب يشمل على أقصوصة تريسترام والفناتين الملقبتين بأيسولت . وقد أحب تريسترام إحدى هاتين الفناتين ولكنه اضطر إلى الزواج من الفتاة الأخرى : ولم يكن أرنولد موفقاً جداً في سرد هذه القصة لأنه لم يتمها ولكنه جاء بها بطريقة جذابة . وبعض أبياتها لا يسمن إلا إعادتها لنشبع شهوتنا بالذلة التي نجنيها منها :

« إن صوتها ليعلو على الضوضاء فيصل إلى أذن .

« وأرى لألامها من خلال الرماح المتشابكة .

« تظهر ميتة تحت غطاء الشباب والنفوان » .

وليس من المستحسن قراءة هذه القصيدة للقصة التي تحكيها .

فهى أشهر من أن تقرأ في مثل هذا الشعر الذي لا يظهرها بل يحافظ على غموضها وإبهامها . ولكنها تقرأ نفسها لهذه الأبيات الرائعة التي لا يمكن نكران قوتها وعدوية أسلوبها .

### ٢ - رستم وسهراب

أجمع محبو أرنولد على أن هذه القصيدة من خير ما نظمها الشاعر . وقد ظهرت لأول مرة سنة ١٨٥٣ تحمل بين ثناياها جمالا طبيعياً مبتكراً يندر أن يوجد في قصائده الأخرى . فهى قصة بطولية أسبوية نظمها الشاعر في قصيدة من الشعر المرسل متبهاً فيها أسلوب الشاعر اليوناني العظيم هوميروس في إلياذته . والقصة في حد ذاتها رائنة ولكنها طويلة ، ولا يمكننى سردها في هذه الرسالة لطولها . ولكنها تتلخص في مبارزة وقت بين والد وولده وكلاهما يجهل صاحبه . سقط الولد صريعاً فرفه الوالد وحزن حزناً شديداً لقتله ولده . صمم على الانتحار فشججه الولد بقوله :

« لا ترغب يا والدى في الانتحار - يجب عليك أن تعيش .

« لأن كثيراً من الناس خلقوا للقيام بأعمال جليلة في حياتهم

« بينما هناك كثيرون قدّر عليهم أن يعيشوا مغمورى

الذكر ثم يموتون .

« وإنى لأتوسل إليك أن تقوم بجلائل الأعمال التي كنت

« أتوق لعملها فتجنى نصراً آخر وغزراً في حياتك »